سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الآثار العامة
بغداد

الجزء الاول والثاني — ١٩٦٧ م — المجلد الثالث والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة

أ	تقديم	الدكتور فيصل الوائلي
٣	اصنام العرب	الدكتور جواد علي
٤٧	المدائن في المصادر العربية	الدكتور صالح احمد العلي
٦٧	التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية	الدكتور أحمد فكري
٩٥	من أدب العراق القديم	الدكتور فيصل الوائلي
١٠١	آلهة فوق الارض (دراسة مقارنة)	الدكتور تقي الدباغ
١٣٥	نينوى في ضوء التنقيبات الاثرية	الدكتور طارق مظلوم
١٤١	الآثار الجديدة التي حازها المتحف العراقي	الدكتور فرج بصمه جي
١٤٥	دراسة بعض التحف المعدنية الاسلامية في المتحف العراقي	الدكتور عبدالعزيز حميد
١٥١	خط المصحف الشريف	عباس العزاوي
١٥٧	أوبس .. أين تقع ؟	فؤاد جميل
١٧٧	الاسم القديم لتل الضباعي	الدكتور فوزي رشيد
١٨٣	الصيانة الاثرية في قصر العاشق	ربيع القيسي
١٩١	دراسة تحليلية لثلاث مسكوكات ذهب نادرة في المتحف العراقي	الدكتور محمد باقر الحسيني
٢٠١	الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون	وداد القزاز
٢١٥	دراسة تحليلية للعملة الاسلامية في العهد الايلخاني	مهاب درويش البكري
٢٢٣	دراسة جديدة لكتابات الموصل الاثرية	يوسف ذنون
٢٣٩	تطور الحضارة	سعدي الرويشدي

الانباء والمراسلات

منجزات وفعاليات مديرية الآثار العامة في العراق
نبذ احصائية وأنباء أخرى .

أوپس ... أين تقع

ما ورد عنها في المدونات الآثارية .. ومـــا أورده بشأنها المؤرخون ـ البلدانيون القدامى

بقلم : فؤاد جميل

معلوم أن كثيرا من مدن العراق ، العريق في الحضارة القديمة ، لا تزال ، حتى يوم النـاس هذا ، وبعد أن أودت بها حدثان الدهور المتعاقبة ونوبه ، فماتت موتا لا نشور بعده ، مطمورة تحت أديمه ، مكفنة بالثرى . ومن هذه المدن القديمة ما بقيت منها بقية ظاهرة لا تعدو كدسا من آجر ، أو زقورات تكاد معالمهـا أن تكون ممحيّة ، أو جدران متآكلة ، أو بعض صفاح مبعثر هنا وهناك ، أو تمثيـــل منحـوتات بارزة Bas relief أو ما جانس ذلك .

ان الجهـة المعنية بآثارنا لا تدخر وسعا في سبيل الـكشف عن مدننـــا القديمة المطمورة ، وصيانة آثارنا الباقية ، واعادتها الى سيرتها الاولى ، لكننا ، بلا شك ، نحتاج الى شيء عظيم من وقت ، وجهد ، ومال لنصبه في تنقيبات مستأنية منهجية متسعة ، وفي بحوث عميقة بصيرة مترابطة ، يسلم سابقها الى لاحقها ، ان أردنا أن نكشف الى العالم كله حضارتنا القديمة ، مفخرة الدنيا والتأريخ ، والى مثل هذا يجب أن نسعى سعيا دائبا .

* * *

ومن مدننا القديمة التي سلف القول عليها : اوبس Opis والتي يقول عنهـــا بحق (لين Lane) في كتابه الموسوم بـ (مشكلات بابلية : Babylonian Problems): « أن كثيرا من الحقائق التأريخية في العراق القديم تتصل بتعيين موقعهـا على الوجه الصحيح » ، وسيتضح ذلك من استعراض ما أورده البلدانيون ـ المؤرخون القدامى من وقائع تأريخنا القديم ، وجاء في تضاعيفه ذكر المدينـة المذكورة ، وهذا هو السبب في عقدنا هذا البحث عنهـــا .

وقبل كل شيء نلحظ ان اسم Opis يوناني النجار ، ويرى (رولنصن Rowlinson) انه من Hupuska ، وقد ذكر هذا الاسم في مدونات عثر عليها في منطقة السليمانية . كما يذهب في (تعليقه)، على ما أورده هيرودوت عن المدينة، الى تعيين موقع أوبس (بتلول خفاجي) الواقعة اليوم قرب ملتقى نهر ديالى (الجنديز : Gyndes) بدجلة ، وهناك من يذهب الى ان (خفاجي) نفسها قد تكون محرفة من Hupiya , Hupuska [1].

ويذهب الاستاذ لانكدن الى ان اسم المدينة اليوناني Opis هو في البابلية (أوبي : Upê) وانهما مشتقان من اسم أقدم هو (أكساك : Aksak) ، وان الاسم هذا استحال الى Upê أيام الكيشيين ، ولا شك ان الشبه ظاهر قريب بين هذا الاسم الاخير واسم اوبس .

وورد اسم المدينة ، أول مرة ، في مدونة يرجع عهدها الى أيام (انشاكّوشّانا : Anshakkoshanna) مؤسس السلالة الثانية ، في (اريج Erech) سنة ٣٤٨٨ ق.م فقد جاء فيها ما مفاده : ان ملكا سومريا في (اريج) غلب ملك (اوبس) وملك (كيش) معا .

وذكرت (اوبس) في كتابة ترجع الى أيام (اياناتوم ، ملك لكش) الذي حكمها سنة ٢٩٠٠ ق.م ، وفيها انه طارد ملك اوبس المسمى (زوزو Zuzu) وغلبه على امره .

ونستشف من هذه المدونات كلها ان اوبس كانت قائمة وعاصمة دولة ذات ملك قبل ٥٠٠٠ سنة وزيادة .

وتمضي المدونات الآثارية فتخبرنا عن المدينة أكثر ، ومنها مدونة لسنحاريب يرجع عهدها الى سنة ٦٩٤ أو ٦٩٣ ق.م ، وفيها يقول الملك :

« لقد ألزم أناس من أرض الحيثيين ، وقد قهرتها بقوسي ، على أن يسكنوا نينوى .. لقد بنوا سفنا ومهروا في بنائها . وطلبت الى بحارة صور وصيدا وبلاد الايونيين ، وقد فتحتها ، أن يطيعوا أوامري . وكان أن ساروا بمحرون عباب دجلة نزلا حتى بلغوا (اوبس) ، ومن اوبس نقلوها على بكرات سارت على اليابسة ، ثم سحبوها الى المدينة (أية مدينة يا ترى ؟) ثم جعلوها في قناة ارحتو[2] Arahtu » .

ويرد ذكر المدينة على لسان نبوخذنصر[3] الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) اذ وردت في احدى مدوناته[3] :

« من فوق اوبس حتى وسط سبّار، ومن ضفة دجلة الى ضفة الفرات ، تبلغ المسافة ٥ بيروات[4]

---

(١) هذا الرأي فيه نظر ، وبقدر تعلق الامر باعتماد موقع تل خفاجي يمثل موقع اوبس على ما سيتضح من بحثنا .

(٢) ورد اسم هذه القناة في أحدى رقيمات مكتبة نينوى الشهيرة ، وكانت القناة تتفرع من الفرات وتنتهي قرب جدول الوردية الحالي الذي يتشعب من الفرات أيضا وينتهي قرب اطلال بابل الحالية . ومما لا شك فيه ان ادخال السفن في هذه القناة ، على ما ورد في (المدونة) كان على طريقة التزليق ، ولا يزال سكان البطائح العراقية يصطنعونها في نقل سفينة او قارب من هور الى هور .

(٣) وجدت على اسطوانة اثرية في وادي بريسة .

(٤) اميال بابلية وهي تساوي ٦٠ كيلومترا

Beru لقد أقمت سدا عـــاليا متسامقا وجعلت المياه الهائلة تحيط بالمدينة لمسافة ٢٠ من اليروات، ولكيلا يمنى فيض المـــاء والسد بضر دعمتهما بطـــابوق ومونة • ، ويلحظ ان المونة كانت من القير ، وان منطقة السد هي المنطقة التي يتقرب فيها دجلة من الفرات ، فلا تزيد المسافة بينهما على ٣٠ كيلومترا وبذلك تكون أصلب مكان له •

ومن ذلك تتبّين ان اوبس ، على ما ورد في مدونة سنحاريب ، كانت على دجلة ، وتؤيّد ذلك مدونة نبوخذنصر ، وتضيف: ان هذا الملك الاخير بنى سورا يمتد من ضفة دجلة فوق اوبس حتى (سبار) وموقعها اليوم قرب اليوسفية الحالية[٥]•

وجاء في مدونات (نابونئيد) عن حكم كورش ما نصه : (في شهر تموز كان كورش في اوبي (اوبس) الواقعة على ضفة نهر حديقيل (دجلة) وعندها تقاتل مع جيش اكد ، وغلب على أهـل أكد) •

ومن هذه المدونة يتأيد لنا ان موقع المـدينة على ضفة دجلة أيضا •

ثم يرد ذكر المدينة على لسان (زينفون) وعند ذكر وقعة (الكناسة Cunaxa)وتراجع الـ١٠ آلاف اغريقي ، لكن ذكرها وتحديد موقعها في ضوء ما ذكره مسألة فيها نظر ، قال زينفون : « وساروا من دجلـة مدة أربعة أيام قطعوا خلالهـــا ٢٠ فرسخا حتى بلغوا نهر فيسكس Physcus وعرضه : ١٠٠ قدم ، وعليه جسر ، وعنده مدينة وسيعة آهلـــة بالسكان ، تدعى : اوبس[٦] » •

وتمضي سنو التأريخ ، سنة بعد اخـــرى ، وبعد نحو ٧٥ سنة (٣٢٥ ق•م) يسمع لأوبس ذكر على اعتداد انها مدينة آهلة بالسكان ، زاهرة مزدهرة • فعلى لسان (اريان) : (مخر الاسكندر، بادىء ذي بدء ، عباب نهر يوليس[٧] ، نزلا الى البحر ، ثم ساحل الخليج الفارسي ، وسار في دجلة مصعّدا حتى بلغ معسكره ، حيث هيفيستيون وجنوده يرقبون مقـــدمه • ثم كان أن اتجه الى اوبس ، وهي مدينة راكبة على هذا النهر ، وأمر

---

(٥) تقع سبار تحت تلول (ابو حبة) عند الكيلو الخامس من (شاخة سيشباس) المتفرعة من جدول اليوسفية الحالي ، وهذه التلول على بعـد ١٢ كيلومترا شرقي مجرى الفرات الحالي ، على حين كان هذا النهر في ايامها يحاذيها في مجراه •

(٦) بذلك يضعها زينفون على نهر فيسكس Physcus ويرى بعض الباحثين انه نهر العظيم الحـالي ، ولكن لين Lane في كتابه الانف الذكر Babylonian Problems ينطلـــق من هـــــذه النقطة في تعيين موقع (اوبس) على ما سنشرحه، ونحن نخالفه في الرأي على ماسيتبين من بحثنـا هـــذا •

وورد اسم نهـــر فيسكس أو فيسقس أو باسم (نهر حمشا) كما ورد اسم مدينة اوبي (أوبس باحمشا) ، وفي الكلمة الاخيرة ما يدل على انها ارامية الجذر فهي على غرار باعقوبا وباعذرا وباطنايا ، و (با) هي بيت • واسم ديالى في المصادر البابلية و الاشورية (ترنات) ، وكانت عليه مدينة تدعى (مي ترنات) ومعنى الاسم : ماء ديالى ، وعرف هذا النهر باسم (تامـــرا) وجنديز أيضا •

(٧) هو نهر كارون الحالي وكان يســـمى باســتيكرس Pastigris لدى اختلاطه بنهـــر كوبرتس Coprates وكان يصب فعلا في خليج البصرة لكنه اليوم يصب في شط العرب وقـــد يخلط بينـــه وبين نهـــر شواسب Choaspes وهو الكرخة الذى يصب في شط العرب شماليه•

بأن تزال جميـــع العوائق المقـــامة فيـه لينفتح مجراه) •

ومن ذلك يتبين ان سفن الاسكندر ، وهي تمضي في دجلة صعدا ، ارفـــأت عند اوبس ، وورد على لسان استرابون[٨] : (ان النهر كان صالحا للملاحة حتى هذه النقطة) ، كما انـه يذكر ان (اوبس سوق Mart يصفق فيهـا أهل الاماكن المجاورة لها) • ويأتي بعد ذلك حديث هيرودوت (٤٣٠ ق•م) ، فهو يذكر أوبس بصدد تأريخه لحملة كورش على بابل فيقول : (وبلغ كورش في سيره نحو بابل ضفتي نهـر جنديز وهو مجرى ماء نابع في جبـــال الماتين Matienian Mountains ويمـــر بـارض الداردين Dardanians ويصب في نهر دجلة • وبعد ان يختلط ماء جنديز بماء دجلة يمر على مقربة من اوبس ثم ينتهي في البحر الاريتري) • ثم يمضي هيرودوت فيقول : (ولما بلغ كورش النهـــر هـذا وجـد الا سبيل الى عبوره الا بواسطة قوارب • وكان ان اندفع احد الجياد المقدسة التي كانت تصحبه ، وقد بلغ الجمـوح منه كل مبلغ ، وحاول عبور النهر ، لكن تياره الايد المنطلق جرف الجواد الجموح ، فكان من المغرقـين) • وفي مدوّنات هيرودوت[٩] بوارق تنير لنا ، الى حد ما ، موقع اوبس وكنه نهـــر جنديز ، فهو يذكر (درب السلطان) الممتد من (ساردس) الى (سوسا) ويفصّل ما يلي : (تبلغ عدة محطات الاستراحةفي ارمينية ١٥ ، والمسافة ٥٦ر٥ من الفراسخ ، وتتخلّل هذه البلاد اربعة انهر وسيعة لا سبيل الى عبورها الا بالقوارب • أول هذه الانهر دجلة ، والثاني والثالث باسـم واحد[١٠] وان كانا نهرين مختلفين، ولا ينحدران من منبع واحد ، فالاول ينحدر من منبعه في ارمينية، على حين ينحدر الثاني من بلاد الميتين • ورابع الانهر هو جنديز الذي فرق كورش ماءه فحفر ٣٦٠ من القنوات) •

يتبين من ذلك جليا ان هيرودوت يقصـد بالنهرين ، المتشابهين في الاسم ، والمختلفين من حيث الحقيقة والمنحدر : الزاب الاعلى والزاب الاسفل ، وهما بطبيعة الحال قبل كل من العظيم وديالى ، فهل أراد ابو التـــأريخ (الاول) أم (الثاني) ؟ وتركه هذه المنطقة وعدم ذكره الا نهرا واحدا بعد الزابين هو الذي يسبب الغموض في تعيين موقع اوبس ، لكن رولنصن في تعليقه على ما اورده هيرودوت يأتي بالقول الفصل اذ يقول : ان الجنديز الذي يذكره هيرودوت هو نهـــر ديالى ، ما الى الشك في ذلك من سبيل ، وحجته ثنائية :

(١) لا يوجد نهر صالح للملاحة بعد الزاب الاسفل على الطريق الممتـــد بين (ساردس) و (سوسا) الا هذا النهر عينه •

(٢) وانه النهر الوحيد الذي يعبر بالقوارب

(٨) الباب السابع ، الفصل السـابع • ويروى التاريخ أن جنـــد الاسكندر تذمـــر في أوبس وكاد يشق عصا الطاعة لولا خطاب القاه فيهم فملك زمامهم •

(٩) الكتـــاب السادس عشر ، الفصـــلان ١ و ٩ •

(١٠) الكتاب الاول الفصل ١٨٠

ويقع على الطريق الممتد بين الجبـــال ودجلة ويصل اخباتانا (همذان) بابل •

ولا معدى عن كلمة توجبها اسطورة تفريق كورش لمـــاء الجنديز الى ٣٦٠ من الجداول والقنوات • فكورش ، على ما يقول هيرودوت ، عندما رأى جواده الحبيب المقدّس يغرق استشاط غضبا وغدا محنقاً ناقما على النهر لذلك صمّم على الانتقام منه (كذا) وجعله نهيرا لا يشق عبوره حتى على التسوة فلا يتجاوز الركب منهن ان عمدن الى خوضه عابرات • ثم تمضي هـــذه الاسطورة تقول : انه توقّف عن المسير الى بابل واختط مجرى ١٨٠ قناة ، على كل من جانبي النهر ، وامر جنده بحفرها ، وقد ادرك مرامه خلال فصل الصيف • قلت ان هذه اسطورة ، ولكن كثرة القنوات المتفرّعة من ديالى وندرة ما يتفرع من العظيم ، ترجح ان يكون الجنديز الذي يذكره هيرودوت ، وينسب الى كورش حفر قناته ، هو ديالى ، لا العظيم •

ويأتي بعد ذلك دور (استرابون) ٢٤ق•م ينقل على عادته عن ايراتوسثينس Eratosthenes ما يلي :

« وما ان يقترب الفرات كثيرا من دجلة ، قرب «سور سمير اميس» وقرية تدعى «أوبس» ، الا يخترق بابل ، ومن ثم يصب في خليـــج فارس » •

ويذكر «أوبس» كرة اخرى لدى وصفـه مجرى نهر دجلة ، فيقول :

« وبعد ان يتابع مجـــراه تحت الارض يظهر في صقع كالونيتس ، ومنه يتجه نحـــو اوبس تاركا بلاد مـابين النهرين على جانبـه الايمن)[11] •

وهنا تستوقفنا نقطة خطيرة (طوبوغرافية) تؤيد ما ذهبنا اليه من ان موقع اوبس هو بالقرب من مصب ديالى في نهر دجلة ، وفي الموقع الذي يتقرب فيـــه دجلة من الفرات كثيرا • على حين لـو مالأنا مـــذهب من يـــذهب الى ان اوبس على العظيـــم لتناقض ما ذهب اليـــه استرابون وايراتوسثينس مع واقع الحال • لذلك رجح رولنصن[12] ، ونرجّح نحـــن ، ان اوبس ، مطمورة في الموقع الذي سلف القول عليه » •

ومن الغريب ان (بليني) لا يذكر (اوبس) في تصانيفه ابدا[13] ، وقلت انهذا غريبلان هذا

(١١) الكتاب الثاني الفصل ١ الفقرة ٢٦ •

(١٢) الكتاب ١١ الفصل ١٤ (٨) •

(١٣) لا معدى في هذا الصدد عن ان نذكر ان (سلوقية) المتأخر بناؤها عن أوبس والتي هي صنو لها من حيث الموقع تمثل اطلالها ، عـلى ما ذهب اليه العالم الجيكي : دكتور موزيل فى (تل عمر) الحالى الواقع على الجانب الايمن من دجلة على مسافة نحو ٤٠ كيلومترا من بغـداد الحالية ، وسلوقية شيدها خليفة الاسكندر الكبير ساوقس نيقاطور في القرن الثالث قبل الميـلاد على ضفة نهر دجلة اليمنى قبالة طيسفون الواقعة على ضفته اليسرى • ويرى ستن لويد ان أوبس قامت في موقع مدينة سلوقية ، لكن هذه مسالة فيها نظر وهي غير موءيدة ••
Lloyd, S : Twin Rivers p. 36 and foot note.
ولقد اثبتت البعثة الامريكية التي نقبت فى (تل عمر) ان مجرى دجلة القـديم كان غربي مجراه الحالى ، وبتبدل مجراه اصبح قسم مـن المدينة على ضفته اليمنى بعد ان كانت كلها على الضفة اليسرى •

المؤرخ الثبت الدقيق لا يفوته اسم من الاسماء التاريخية ، لاسيما أسماء المدن القديمة ، ولديّ تعليلان لذلك : فاما ان تكون (اوبس) قد استحالت في ايامه الى قرية زرية لا تستأهل الذكر على لسان هذا المؤرخ ، واما ان تكون (افامية Apamea) ، التي يذكرها ، هو الاسم الذي كان يطلق على اوبس في أيامه ، .

على ان بليني يذكر اسم مدينة اخرى هي (انطيوخية العربية : Antiochia Arabis) ويعين موقعها بين نهري دجلة وطورنا دوتس Torradotus وهناك من يزعم[١٤] انها (أوبس) بعينها .

وثمة ملاحظة يجدر ان نوردها بصدد اسم جنديز : فمن الباحثين من يذهب الى انه مشتق من الاسم المسماري (خدن Khudun) الذي كان يطلق على اقليم ، ومدينة رئيسة في الاقليم ، كانت واقعة على ضفتيه ، لصق هبوسكا Hupusca الوارد ذكرها على لسان ساردانابالس Sardanapalus

وقد رجّحنا فيما سلف من بحثنا ان (هبوسكا) هي تل خفاجي الحالي . وثمة خطأ في ذكر المسافات وارد على لسان زينفون ، وهو يصف مسيرة الـ ١٠ آلاف اغريقي يرجح عندنا ما ذهبنا اليه بشأن موقع أوبس ، فزينفون يقول:

« وبعد أن سار الاغريق ثلاثة أيام بلغوا سورالماذيين ـ على مايسمّى ـ وجاوزوه الى الجانب الآخر منه . انه مبني بالآجر المثبت بالقار ، ويبلغ عرضه عشرين قدما ، وعلوه مائة قدم ، وقيل ان طوله عشرون فرسخا ، وهو من بابل ليس ببعيد» . ويرى (فرد هوفر) ان طوله زهاء ١٥٠٠ متر ، فهم الان قريبون من بابل وليسوا ببعيدين عن موقع اوبس على ما نذهب اليه ، ثم يمضي زينفون قائلا : « وهكذا قطعوا ثمانية فراسخ في يومين اثنين ، ثم عبروا في أثنائهما قناتين ، وكانت على أحدى القناتين قنطرة » وعلى الاخرى جسر مؤقت مكون من ثمانية قوارب ، ومياه هاتين القناتين من دجلة» (كذا) . ونقول : ان كون هاتين القناتين تستقيان من دجلة غير ممكن طوبوغرافيا ، والراجح عندنا انهما من القنوات التي يكثر تفرعها من الفرات في هذه المنطقة عينها . ويمضي زينفون فيقول : « ... ثم وصلوا بعد ذلك الى مكان قريب من دجلة ، وهناك مدينة كبيرة آهلة بالسكان تدعى سيتاس Sittace . انها عن ضفته لا تبعد بأكثر من ستاد » . ونقول ليس موقع سيتاس بمعين على وجه التحقيق لكن (توروس) يذهب الى انها (شريعة البيضة) وفيها اليوم أخربة

(١٤) الكتاب السادس الفصل ٣١ .
ويلحظ ان (المدائن) هو الاسم الذى اطلقه العرب على المدينتين التوأمين قطيسفون وسلوقية. وقد أختصر العرب اسم (قطيسفون) ، (كسفيا) الوارد ذكرها في (سفر عزرا ٨ : ١٧) وعلى انها بين بابل والقدس . وللعالم الاثاري هرتسفيلد رأي في هذا الباب : ان اسمها الماذى القديم كسبيا أو كسيباتم (أي حصن القزاونة) . وهم قوم حلوا في شمال ايران وباسمهم عرف بحر قزوين . واسم البحر هذا يلفظ بالارامية (كسفون) واطلق عليه الاغريق اسم(كتيسفون). وعرفت المدينة في التلمود الارامي باسم (ماحوزي) ومعناها المدائن ، وطاق كسرى في ناحية سلمان باك يعين موقعها اليوم :
Herzfeld, Gescluchte der Stadt Samarra p. 29-32.

كثيرة ، وتلول وسداد وقناة لا ماء فيها ... وهي تبعد عن شمالي غربي بغداد بزهاء عشرة أميال . وهنـاك من يذهب الى أنهـــا في موقع العزيزية الحالية ونحن نميل الى ذلك على ما سيأتي بيانه .

ويمضي زينفون فيقول : « وقد عسكر الاغريق قرب هذه المدينة ... ثم عبروا دجلة على جسر مكوّن من ٣٧ قاربا وكان عبورهم تحت مدينـة اوبس بقليل ... ومن دجلة ساروا أربعة أيام حتى بلغوا نهر (فسقس) وهو نهر عرضـــه بلثروم عليه جسر ، وهناك مدينة كبيرة راكبـــة على هذا النهر تدعى اوبس »[١٥] .

ونقول : لو كانت سيتاس قرب بغداد فمن العجب العاجب أن يسير الاغريق مسافة أربعـــة أيام ولا يصلوا الا مدينة تقع ـ على ما يذهب اليه بعض الآثاريـــين ـ شمالي العظيم ويحسبونهـا اوبس . ولكن ثمة من يرى أن فسقس الذي قطعه زينفون وحملة الـ ١٠ آلاف اغريقي هو (القاطول) أو النهروان العظيم الذي كان يجري شرقي دجلة . ومن الغريب أن يحاول (جسني) أن يعلّل الاربعة أيام التي يذكرها زينفون فيجعل اوبس أبعد ، عنـــد قادسية دجلة ، لكن ذلك يدحضه قول زينفون : ان الاغريق ساروا بعـد ذلك مسافة ١١ يوما من اوبس حتى بلغوا الزاب الكبير ، والمسافة بين القادسية على دجلة والزاب الكبير تقطع بأقل مما ذكر بكثير .

ان ذكر أيام المسيرات ـ على ماسبق بيانه ـ يجعل من المتعذر أن تكون اوبس في غير المكان الذي ذهبنا اليه ، لا على العظيم ولا عند قادسية دجلة .

* * *

يلحظ (لينارد كينك Leonard W. King)[١٦] « ان كل مدينة من مدن سومر وأكد ... كانت تقع على الفرات ، أو على فرع من فروعه ، وليس على دجلةمدينة، باستثناء اوبس ، وهيأعلى مدينة أكدية شمالا . ان تفضيل الفرات بالنسبة لتشييد المدنعليه، يمكن اجتلاؤه بذكر حقيقة كوندجلة سريع الجريان ، وان ضفتيه عاليتان ، لذلك فان تيسيره للري أقل . والفرات ، وضفتاه خفيضتان يجنح خلال الفيضان الى التبطّح بمائه فيغمر الاراضي المجاورة ، وهذا مما لا شك فيه أوحى الى سكانه الاقدمين اختطاط مشاريع تنظيـم مياه الرّي والافادة منها بوساطة الخزانات والقنوات. وثمة سبب آخر يردّ الى أن ماء الفرات ينحسر على وجه بطيء خلال أشهر الصيف . فعنـدما تذوب الثلوج في سلسلتي جبال طورس Taurus ونيفيتس Niphales خلال أيام الربيع الاولى ، فان الفيضة الاولى تنحدر في دجلة مسرعة ، فيبدأ هذا النهر بالارتفاع في آذار ، عادة ، وبعـد أن يبلغ أقصىارتفاعه فيأوائل نيسان يبدأ بالانخفاض سريعا ويعود الى مستوى مائه الصيفي في أواسط حزيران .

أما الفرات ... فانه يبدأ بالارتفاع بعـــد

---

(١٥) راجع رحلة زينفون في العراق وحملة العشرة الاف افريقي) مجلة سومر المجلدالعشرون ج١ و٢ سنة ١٩٦٤م ص٢٥٣ وما بعدها .

(١٦) A History of Sumer & Akkad (1910) ص١١ ، ١٢ .

اسبوعين من ارتفاع ماء دجلة ويستمر ماؤه غمرا ولا يصل مستوى مائه الخفيض الا في ايلول •• مما لا شك فيـــه ان آلات السقي اصطنعت على النهرين ، على غرار ما تصطنع في يوم النـــاس هذا • لكنها ليست بضرورة بالنسبة للفرات الا عندما ينخفض ماؤه الى أوطأ من مستوى الماء في القنوات • •

وهو في موضـــع آخر يعـدّد بعض مدن العراق القديمة أي : أكد وسپّار وكيش وكوثي وبابل وبورسپّا ، ويجعل (اوبس) واحدة منهـا ويقول عنها: انها، على التحقيق ، تقع خارج حدود سومر وتعود الى أرض أكد الشمالية[١٧] •

ثم يذهب كينك الى الزعم القائل ان كيش واوبس مدينتان صنوان توأمان ، وحجته في ذلك ان الكتابة الرمزية Ideogram أوردت اسم (كيش) بشكل (اوبس) في رقية ثنائية اللغـــة ، وهي الرقية التي أعلمتنا عن يقين بأن قراءة اسم (شيربورلا Shirpurla) هو لاكش • والرقية هذه تنصّب على التعاويذ الاشـــرار • وورد في عبارة فيها روح الخير المستقرّة في المدن البابلية القديمة تستثار نيابة عن الشخص الذي انطبقت عليه •

ويمضي (كنك) فيقول : ان ما يؤيد هـذا الاحتمال ان كيش واوبس واقعتان على دجلة ، ولا تبعد أحدهما عن الاخرى كثيرا • ومما يدعم هذا ان المدينتين متصلتان اتصالا وثيقا عند ذكـر حروب (ايناتوم Enmatum) وانهما في أيام (اينبي عشتار Enbi-Ishtar) كانتـــا مدينـة واحدة[١٨] •

لكن ثبت الآن ان موقـــع كيش هو (تل الاحيمر) على الفرات ، وهـــذا يضعف الرأي القائل بأن كيش واوبس صنوان ، ومن الغريب ان الـــكتابة الرمزية لاسم (اوبس) تشترك مع (اريدو) و (لكش) و (شروباك) أيضا •

ويمضي كنك بعد ذلك فيقول :

ان تعيين موقع (اوبس) بموقع التـــلال العظيمة المسماة بـ (تلال منجور) الواقعـة على الضـفة اليمنى من دجلة عنـــد العطفة العظيمة الكائنة بين سامراء وبغداد ، أو ان تكون في أسفل النهر ، وهو أكثر احتمالا ، بجوار سلوقية ، أمر متروك للتنقيبات القابلة وما يسفر عنها •

ولعل هذا الرأي ، ورأي رولنصن الذي أشرنا اليه آنفا هو الذي حمل بعثة المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو برئاسة الدكتور فرنكفورت على التنقيب (٢٩ـ١٩٣٥) في المنطقة التي يرجح أن تكون اوبس فيها •

* * *

ذكرنا فيما مضى اسم ايناتوم ، حاكم لكش، وقد ورد في احدى أحجار الاساس التي أقامهـا ما نصه : (انا ، ايناتوم ، باتيسي لكش ، بنعمة الالهة نيني التي تحبه ، قدمت له مع حاكمية لكش مملكة كيش » ، وهذه العبـارة تدل على انه لم يغلب كيش حسب بل انه كان يهيمن على المملكة الواقعة شمالها • كما ورد في آخر النص الذي على حجر الاساس المذكور في أعلاه : « لقـــد

(١٧) ص ١٣ من المصدر نفسه •

(١٨) ص ١٨ من المصدر نفسه والحاشية •

كسر رأس عيلام على يد ايناتوم وطرد الى أرضه وكسر رأس كيش ، وطرد ملك اوبس الى أرضه » •

والظاهر ان اوبس لم تندحر الا اثر معركة ضارية ، اذ ورد في النص المذكور :

وطارد ايناتوم •••• زوزو ، ملك اوبس ، من (انتاسورة نينكرسو)شمالا حتىمدينة اوبس• ومن هذا يستبان لنا ان قد كان ثمة حلف بين ملك لكش وملك اوبس المذكور ، وان الاخير قد سارع لنجدة حليفه لدى نشوب الحرب ، ولعل عبارة : « وطرد ملك اوبس الى أرضه » توحي بأن الاخير صادف فيبادىء الحرب طفراه• أما (انتاسورة Amiasurra) انوارد ذكرها فيالنص فقد كانت معبدا لـ (نتكرسو Ningirsu) وكانت في أراضي لكش ، ولعلها كانت قريبة من الحدود بين الدولتين •

ومن الممكن أن يكون فتح الدولة المسماة (معير Ma'er) أو (ماري Mari) قد حدث في هذا الوقت عينه ، وضمن الحرب مع اوبس وكيش ، فقد ورد في عبارة ما يشير الى ان ايناتوم قهر هذه الدول الثلاث عند (انتاسورة نينكيرسو) • ولعل دولة (معير) كانت حليفه لكش واوبس فقدمت قطعات محاربة الى الجيش الذي كان يقوده (زوزو) في هجومه على لكش •

يتبيّن مما ورد آنفا عن حملات (ايناتوم) ان سلطان (لكش) في أيامه عظم واتسع كثيرا • فلقد كانت هذه (دويلة مدينة) ذات نفوذ محدود فغدت على رأس حلف من المدن السومرية العظيمة ، لذلك تنازعت مقام الصدارة مع المدن الشمالية في أرض بابل ، واستطاعت أن تصد نفوذ عيلام عدوة (سومر) و (أكد) ، على حد سواء • وبالنظر الى آراء (ايناتوم) بصدد الفتوحات، على ما أوضحت ، ان أول توسع في ناموس المدينة جرى باتجاه الجنوب ، لذا أصبحت كل من مدن : اور واريج ولارسا وكيش، ولعل اريدو أيضا ، منالدويلات التابعة لها ، وذلك قبل أن تحاول (اوبس) أن تحد من سلطانها المتنامي • وفي خلال الحرب التي جرت في أعقاب ذلك لعلنا نتبين كفاحا مشتركا جرى بين (سومر) و (أكد) •

ويرد ذكر (اوبس) مرة اخرىمقرونا باسم كيش وانتصار ملك سومري يدعى : (انشاككوشانا) ، وقد سلفالقول عليه ، وهو الذي كان يطلق عليه (سيد سومر) وملك البلاد • لقد عثر على مدونات له على بقية مزهريات وجدت في (نفر) ، جاء في احداها : (ان انشاككوشانا قد حلف للاله انليل أن يسلب كيش الشريرة) • وانليل هو اله نفر • ومن مدونات اخرى نستشف ان هذا الملك السومري المجهول استطاع أن يظفر بالمدينتين الشماليتين : كيش واوبس • وكانت كيش من بين هاتين المدينتين الأهم شأنا ، ذلك ان اكتساحها ورد في جميع المدونات ، على حين لم يرد ذكر (اوبس) الا مرة واحدة • ان كلا من هاتين المملكتين كانت تحكم من قبل ملك مستقل ، وقد دون النصر ـ المذكور ـ على المزهريات التي عثر عليها •

وبما انهما قهرا في معركة واحدة فيمكن أن نستنتج من ذلك انهما كانتا تؤلّفان حلفا ، وكيش على رأسه • ان اسم الملك في كيش في هذه الفترة

هو (انبي ـ عشتار) وقد سلف القول عليه • ومن هذا الاسم يمكن أن نستنتج ان كيش ، ولعل اوبس أيضا ، كانت تحت النفوذ السامي • لقد قهر (اينبي عشتار) واكتسحت كل من كيش واوبس وعاد الملك السومري محملا بالغنائم الى الجنوب • ويرد ذكر اوبس مرة أخرى ندى ذكر فتوحات سرجون الاكدي في أرض عيلام ، وكيف انه قطع عن أهلها مواد التموين • وقد ورد في احدى رقيمات هذا العهد ان (شار ـ كاني ـ شاري) استطاع أن يصد حملة عيلام على اوبس ، ولقد كان من عادة ملوك (كيش) و (أكد) في مثل هذا العهد الهجوم على العيلاميين وقهرهم والرجوع الى بلادهم محملين بالغنائم •

ليس من المستبعد أن تكون حملة (شار ـ كاني ـ شاري) على عيلام وظفره بها مسببة عن تصديها للهجوم على (اوبس) • ونذكر بهذه المناسبة ان (شار ـ كاني ـ شري) جعل أكد عاصمة له ، وكانت مركزا مهما من مراكز عبادة الالهة عشتار •

ان (شار ـ كاني ـ شرى) هو مؤسس الانبراطورية الاكدية وان الذي دعم كيانها هو (نارام سن) ، وكان حكم الاول في نحو ٢٦٥٠ ق•م والثاني في نحو ٢٦٠٠ ق•م •

قلنا : ان بعض الباحثين يذهب الى أن المدونات السومرية القديمة لم تذكر اسم أية مدينة قامت في وادي نهر دجلة الادنى ، فيما وراء اوبس • ونذكر بهذا الصدد ان نهر دجلة كان يتخذ عقيقة نهر الغراف الحالى ، وقد قامت عليه (لكش) و (تللو) حسب • أما السبب في عدم قيام مدن سومرية اخرى عليه فمرجعه ، فيما نرى ، الى العداء الشديد المتواصل بين السومريين والعيلاميين ، وبذلك أصبح دجلة عامل فصل لا عامل وصل، ولذا يصح أن نقول : ان السومريين وان جاؤوا العراق من وادي دجلة اتجهوا الى وادي الفرات ، ومن هذا الوادي عينه اتصلوا ، بمسالك طبيعية ، مع غيرهم من الاقوام لتبادل المنافع التجارية[١٩] • ومن أمثال مدنهم التي قامت في

(١٩) بقدر تعلق الامر بالحدود بين سومر واكد لم تكشف التنقيبات ولا المدونات عن شيء قاطع بشانها ، ويصح ان نقول ان القسم الجنوبي من العراق هو (ارض سومر) وتمثلها اليوم اراضى لواءي المنتفق والديوانية ، وكان من اظهر مدنها (١) نفر (٢) أوما (تل جوخه الان) (٣) شروباك « فاره ، الان » (٤) ولارسه (سنكرة) ، شمالي غربي الناصرية بنحو ٧٠ كيلومترا الان و(٥) آدب (يسمى شرقي البدير الان) ، والوركاء ، واريدو ، ولكش ، (تالو قرب الشطرة) وغيرها •

اما اشهر مدن أكد فكانت : (١) مدينة أكد في منطقة اليوسفية ـ المحمودية (٢) وسبار (ابو حبة الآن) قرب قصبة اليوسفية (٣) واوبس ـ مدار بحثنا ـ (٤) وكوثي (تل ابراهيم الان) (٥) وكيش (تل الاخيضر قرب الحلة الان) (٦) وبابل (٧) ودلبات و(٨) وبورسبا (برس نمرود الان) وكان يطلق على سومر واكد في العصور المتأخرة :ارض بابل •

ان كلا من المدن المذكورة كانت مركز دويلة وكانت دويلات المدن هذه تتنازع على السلطان السياسى والماء وتوسيع رقعة الارض وقد يتسنى لمدينة ما أن تبسط سلطانها على دويلة أو دويلات اخرى ، نتيجة حرب ، على ما حدث بالنسبة لـ(انشاكوشانا) حين اكتسح كيش واوبس • وكان لكل دويلة رأس يلقب (باتسى) وهو يجمع في ذاته وظيفتى الحاكم والكاهن الاعلى •

حوض الفرات : اور واريدو ولارسة واوروك وساروباك وادب • وحتى ان سرجون الاكدي (٢٥٨٤ ـ ٢٥٣٠ ق•م) الذي كـــون في وادي الرافدين مملكة متحدة من أرض سومر وأرض أكد وامتزجت فيها الحضارة السومرية ، غـــير السامية ، بالحضارة الاكدية ، السامية ، وطـرد الغزاة العيلاميين ثم أخضعهم كما أخضع دولـــة اشـــنونة (تل أسمر) ، كانت عاصمته ، وان لم يعرف موقعها على التحقيق ، في حوض الفرات نفسه ، لذا فان وقوع مدينة اوبس على دجلة في أقصى حد لدويلات سومر وأكد يفسره واقـــع الحال : باعتداد هذا الموقع نفسه قريبا من ملتقى (الجنديز ـ ديالى) بدجلة ، وفي ملتقى نهـــرين قامت ، عبر التأريخ ، أو تقوم ، مدينة ما في أغلب الاحيـــان ، للافادة من مجـاري ماء كل منهما للاتصال بالمواقع الكائنة عليهما ، من جهة ، ولان قيام مدينة اخرى ، فيما وراء موقع اوبس ، فيـه مانع ومحذور ، أيامئذ ، وأعني به : قربه من أعداء السومريين والاكديين معا ، على ما سلف القول عليه •

واستطرادا نقول : ان الذي حفز قيـــام سلوقية ، بعـــد بابل ، في موقع قريب من موقع اوبس هو نفس العامل ـ الجغرافي ـ التجاري المـــذكور ، أعني قربهـــا من مصب نهر ملكا Nahrmalcha [٢٠] بنهر دجلة ، ومثل ذلك يصح أيضا بالنسبة الى قيام طيسفون في موقعها ، الذي يمثله اليوم طاق كسرى على ما سماه العرب أيضا •

وفي رحلة العـلامة الاثاري اللغـــوى (سر وليس بج Sir Wallis Budge) الموسومة بـ (By Nile & Tigris) [٢١] ورد ذكر مدينة اوبس: (••• ومدينة اوبس على التحقيـق (كـذا) كانت عند مصب نهر (فسقس : Physkos) ولكنها كانت على الضفـــة الغربيـــة لدجـــلة ولا معـــدى عن ان يـــكون مصب (العظيـــم) على بعد اميال الى الجنوب من موقعـــه الحالى• وكانت اوبس (او ـ بي ـ آى) أو (او ـ بي ـ اى) أو (او ـ بو ـ آ) على ما ورد اسمها في المدونات ـ المسمارية ـ مدينة عظيمة الشأن ، حديث التاريخ وعبرة الدهر ، وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد • وتقول رقيمة تأريـــخ (سنكرونس : Synchronous ان تغـــــلات بلاصر الاول (١١٠٠ ق•م) استولى عليهـا • وجعل سنحاريب منها قاعدة السـفن ابان حملته

امتدادها الاوسط والادنى مجرى قناة اليوسفية• وأول من وصف هذا النهر قديما هو (هيردوت) اذ قال : انه أكبر الانهر في أرض بابل ولا يمكن المرور فيه الا على ظهر السفن واضاف الى ذلك قائلا ان النهر يتفرع من نهر الفرات ويصب في نهر دجلة ، الذي تقع عليه نينوى (الكتاب الاول الفصل:١٩٣)• وذكره بطليموس القلوذى(١٤٠م) فقال : انه كان يتفرع من الضفة اليسرى لنهـر الفرات في نقطة تقع على نفس خط العرض الذي تقع عليه سلوقية ، أي في نقطة تقع غربي سلوقية مباشرة •

(٢٠) او نهر الملك على ما سماه العرب ، أو على ما سماها به بعض كتاب الاغريق : (فلومن رجيـــوم Flumen Regium) وكانت هذه القناة تتفرع من نهر الفرات وتمتد نحو دجلة ويمثـل امتدادها الاعلى مجرى قناة الرضوانية اليوم، كما يمثل

(٢١) راجع (رحلات الى العراق) ج١ نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه : فوءاد جميل ص٣٦٦ـ٣٦٧ •

على أهل الخليج العربي والعيلاميين • ويظهر انها لم تكن أكثر من قرية ايام استرابون • ومن المحتمل ان خرائب منجور الكائنة على بعد ميلين أو ثلاثة اميال من ضفة النهر الغربية والمؤلفة من تلال هي موقع المدينة ، ولعل سقوطها كان بسبب تغير دجلة لعقيقته •)

من هذه العبارات يتبين ان (بج) ينحومنحى من ذكرنا آنفا ، باستثناء رولنصن ، فيجعل اوبس عند مصب العظيم وعلى الجهة الغربية ويعينها بتلال منجور وهو رأي دحضناه فيما سلف من القول ، وفيما سيأتي منه ، • أما نهر فسقس فيميل رولنصن الى انه القاطول اى النهروان ، وقد ذكر بليني[٢٢] ان عرضه بلثروم واحد وان عليه جسرا ، والبلثروم هو العرض المعتاد للقنوات ، والتخليط كائن في تعيين موقع اوبس يجعلها تارة عند مصب العظيم بدجلة وتارة عند ملتقى النهروان (القاطول) بدجلة ، وتارة على القاطول نفسه ، وعلى ما يذهب اليه فرهورد ، على مصب فسقس ، وهو امر لم يذكر في الخوارط المرسومة •

كما ان ثمة اختلافا اخر هو : هل ان نهر فيسقس هو العظيم ام انه القاطول ؟ • وهل ان القاطول قسم من النهروان ؟ على خلاف مما ذكره البلدانيون العرب كياقوت • ان هذه الاختلافات هي بنظرنا السبب في اختلاف تعيين موقع اوبس على التحقيق •

★ ★ ★

ان مركز تورين للبحوث الاثارية والتنقيبات في الشرق الاوسط كان قد حصل على اجازة من السلطات العراقية باجراء التنقيبات في منطقة سلوقية وطيسفون ، وضمّن نتاج عمله[٢٣] في تقرير بعنوان (بلاد ما بين النهرين : Mesopotamia) ، وقد وردت في تضاعيفه نقاط ومعلومات مهمة تتصل بتحقيق موقع اوبس • واول ما يسترعي الانتباه ان المنطقة التي تظافرت الاراء على ان المدن الثلاث المذكورة ، أعني سلوقية وطيسقون واوبس ، يمر منها طريق من اهم الطرق الممتدة من أواسط آسية فايران ، فبلاد ما بين النهرين ، وهو الطريق الذي يتابع الطريق السلطاني في وادي نهر ديالى • وليست أهمية هذه المنطقة بمتأتية عن الزراعة ، حسب ، بل لانها منطقة حدود ، ونقطة التقاء طرق المواصلات وتبادل السلع التجارية والاراء والافكار • ان عبور دجلة نقطة رئيسة في طرق القوافل ، حيث يتم عندها تبادل المنتوجات ويجرى التحميل • لقد كان الشائع المعروف ان سلوقية وطيسفون يجب البحث عنهما في هذه المنطقة عينها ، والتي تبلغ مساحتها ١٠٠كم مربع وتقع على بعد ٣٥ كيلو مترا الى الجنوب من بغداد ، بين سلمان باك وتل عمر • على ان الموقع القطعي والحدود المعينة لكل من المدينتين لم يكن قد عُيِّنا تماما • واول ما يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار في هذا الباب مجرى دجلة القديم ، وقد تم رسمه وتعيينه بنتيجة المسوح التي اجرتها

(٢٢) راجع الهامش (١٥) •

(٢٣) Mesopotamia I Universita Di Torino 1966.

البعثة الالمانية برئاسة روثر : Rewther في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ • لقد تجلت للبعثة دلائل واضحة تدل على عقيقة النهر القديمة الكائنة الى الغرب من مجراه الحالي ، قرب سلمان باك الحالية • ان المجرى هذا يقسم البقية من مدينتين، فعلى الضفة الغربية منه : بقية سلوقية ، ما الى الشك في ذلك من سبيل ، على حين يطيف بالبقية الباقية في الجهة الشرقية سور بيضوي او دائرى يشقه مجرى دجلة الحالى ، وقد عينها الالمان باعتدادها اقدم آساس طيسفون • ومما يتصل بتعيين مجرى دجلة القديم تعيين مجرى (نهر ملكا : القناة الملكية) الذي كان يصل الفرات بدجلة ، وتعيين موقع المدن القديمة عليه ومنها المدينة السومرية القديمة ، اكساك Aksak والمدينة التي اعقبتها : اوبس • ثمة مشكلة تتصل باوبس قبل العهد الهليني ، وباكساك المدينة التي يتراءى انها سبقتها بصورة مباشرة • ويستطيع المرء حقا ان يذهب الى ان اكتشاف سلوقية كان نتاج البحث عن موقع اوبس و (اكساك) ، ان البعثة الامريكية كانت تهدف حقا الى تعيين موقع هذين المستوطنين اللذين كانا بابليا وسومريا على التعاقب• لكنها ، بدلا من ذلك ، عثرت على بقايا مدينة هيلينية كانت تقع في منطقة قريبة من مجرى دجلة الحالى • وكان سند وترمان Waterman (٢٤) واهنا حين كان يضع المدينتين اوبس واكساك تحت موقع سلوقية الهيلينية ، ولا يعتبر هذا اليوم بشيء يرتكن اليه• ان اكساك من المدن السومرية الملكية التي دونت اسماء ملوكها منذ الالف الثالثة قبل المسيح • ففي خلال حكم الملك (سار ـ كالي ـ ساري) ، خليفة (نار ام ـ سين الاكدى) ، وقد سلف القول عليهما ـ زحف ملك عيلام حتى بلغ اكساك • وهذا يوحي بأن موقع المدينة كان على ضفة دجلة الشرقية • وعلى حين جرى تعيين موقع اكساك بموقع اوبي او اوبس عن طريق الرقيمات المسمارية ، منذ العهد البابلي القديم ـ الا اننا لسنا على ثقة من ان المدينتين يجب ان يبحث عنهما في مكان واحد ـ بمعنى ان اوبي بنيت فوق اكساك ـ أو في مكانين متجاورين • لقد غدت اوبس بسرعة مركزا مهما جدا يقوم على ضفتي نهر دجلة • انها مدونة في نصوص تعود الى (نازي ماروتاس Nazimarrutas) و (نبوخذ نصرّ الاول) ، كما ورد اسمها بين أسماء المدن التي استولى عليها (تيغلات بيلاصّر) ـ في نحو سنة ١١٠٠ ـ مع أسماء بابل وسبّار ، خلال انقضاضه على بلاد ما بين النهرين الوسطى • وفي الحق ، ان اوبس ، على ما ورد في الحالة الاخيرة، تذكر بصراحة على انها واقعة على الجهة القصوى من النهر ، اى الضفة الشرقية • واخيرا ، وعلى الرغم من ان موقع اوبس ، بالنسبة الى النهر لم يذكر على وجه التعيين ، نجدها مدونة في رسالة موجهة الى (سرجون) باعتدادها المكان الذي تقع عنده (عبارة) ، وليست ببعيدة عن موقع آخر اسمه (باب ـ بيتكي: Bab-Bitke ولسنا نعرف ان كان الموقع الاخير على دجلة او

(٢٤) Waterman, Preliminary Report upon the Excavations at Tel Umar, Iraq, p. 6.

على قناة وسيعة تصب فيـــه ، وعلى مســـافة قليلة ، شمالي اوبس •

ان الرسالة التي سلف القول عليها تتحدث عن سفينة حاكم آشور التي كانت تنساب نزلا في النهر حاملة الفضة حتى موقع العبّارة عنـد (باب بيتكي) ، على حين كانت هناك سفينة اخرى تعود الى ملك عرفا : Arrapha) تنقل الزيت والتبن والعلف للماشـــية في اوبس • كمـا ان سنحاريب جاء باسطوله الذي بناه في الشـــمال نزلا في دجلة حتى اوبس • وعندها نقل برا الى الفرات ، ويستبان من نقل الاســـطول ، عبر اليابسة ، ان القنوت الصالحة للمـــلاحة بين النهرين كانت لا تستخدم أيامئذ ، أو ان السفن في اسطول سنحاريب كانت كبيرة فلا يمكن أن تنساب فيها •

لقد كانت اوبس حصن النهاية لسور بنـاه نبوخذ نصرّ يمتد من سبّار اليها ، اى بين الفرات ودجلة • ويذكر ان هذا السور كان شطرا من نظام دفاعي بناء الغـزاة الشـــماليين والشماليين الشرقيين • ان هذه الاسوار يسـميها الـكتاب الاغريق بسور ماذي وهي التي منعت الملك كي اخسار Cyaxares المـاذي من فتـح بابل ، فهيردوت يعلمنا انه لم يهجم على أرض بابل[٢٥] لكن هذه الاسوار لم تقف في سبيل كورش الذي انحدر من الهضبة الايرانية محاذيـا وادي نهر ديالى ، مهاجما ارض بابل • لقد سلف القول ، على ما ذكر هيردوت[٢٦] وما ورد في كتـــابات بابلية ، ان كورش استولى على اوبس ثم التفّ حول السور الذي بناه نبوخذ نصرّ فوصل سبّار • وامام سبّار دارت رحى المعركـــة الكبرى التي اسفرت عن هزيمة قوات نبونئيدس •

لكن على الرغم من هذه المعلـــومات ليس في مدوّنات هيرودوت ، ولا في النصوص البابلية ، ما يقرّر موقع اوبس على التحقيق •

يقيت نقطة حرية بالمناقشـــة : ان بارنيت Barnett يذهـــب الى ان أوبـــس كـــانت تقع على ضفة دجلة الغربية ، عند نهـاية سـور نبوخذنصّر • ان ما ذكر قبـلا لا يدعم هـــذا الرأى ، ذلك ان من المعقـول المنطقي ان ينتهي اى خط دفاعي عند رأس جسر بعد النهر ، ولا سيما في مثل هذه الحالة ، فرأس الجسر فيهـا يقابل النقطة التي يعبر فيها الطريق المحاذى لديالى نهر دجلة • ان هذا يفسر ما ورد من ان كورش استولى على اوبس قبل أن يلتفّ حول سور ماذي وقبل التقدم على بابل •

ان زينفون يذكر (اوبس) على انها واقعة على ضفة النهر الشرقية ، ولا معدى عن اعتداده شاهد عيان ثقة ، حاد البصر والبصيرة ، وبالنسبة الى كثير من الاشياء والظروف • وهذا محقّق بالنظر الى رحلته في بـــلاد ما بين النهـــرين الوسطى • فالاغريق وصلوا اوبس بعد عبـــور دجلة ، في محل يقع الى الجنوب بعيدا ، وكان ذلك عند (سيتاس : Sittace) • ومـــن الباحثين من يرى انها (العزيزية) الحالية على ما قلنا ورجّحنا • ومن سيتاس اتجهوا شمالا محاذين ضفة النهر الشرقية ، ومن الواضـح الجلي ان

(٢٥) Herod., I, 106.
(٢٦) Herod., I, 189-191.

الجسر الذي كان عند اوبس ، سواء اكان معقودا على قوارب أم مبنيا على مادة قوية ، لا معدى عن أن يكون قد حطّمه ارتحششتا : Artaxerxes للحيلولة دون عبوره من قبل الاغريق • ويقول زينفون[٢٧] ان اوبس واقعة على نهر عرضه ثلاثون مترا ، اى بلثرون واحد ، وعلى النهر جسر من حجر ، ويسميه (فيسكس : Physkos) ولا يذكر هذا الاسم في محل آخر • ومن الباحثين ، بارنيت مثلا ، من يجعل هذا النهر ديالى نفسه ، وهو الجندير عند هيرودوت ، ويدلّل على ذلك ان الكلمة الاغريقية (فيسكس: Physkos) فيها جذر Psh مدلوله في اللغى الارامية ـ السامية « ممر فوق نهر » • ومن الواضح البين ان الجسر والمنطقة المحيطة به وصفتا الى زينفون باعتدادهما (ممرا) فجعل الكلمة اسما للنهر •

لكن لجنة تورين تذهب[٢٨] الى انه لا يصح جعل اوبس على ديالى ، وتدلل على ذلك بما يلي

١ ـ ان عرض النهر على ما يذكره زينفون، اى ٣٠ مترا ، شيء لا يصح بالنسبة الى ديالى ، فهو قليل جدا •

٢ ـ وان المعلومات المستقاة من المصادر (القديمة الكلاسيكية) الاخرى لا تدعم وقوع اوبس عند مخلط ديالى بدجلة •

٣ـ ومن المحتمل ان (فيسكس) الذي يذكره زينفون هو احد القنوات التي تجري موازية لديالى وتصب في دجلة نزلا • ان هيرودوت يؤيد وجود هذه القنوات[٢٩] • عندما يذكر زحف كورش على بابل ، على ما سلف القول عليه • ان قناة واحدة فقط قليلة الخطر يمكن ان تبعث الالتباس الذي كشف عنه (بارنيت) بين اسم الموقع الذي عبر عنده الاغريق النهر وبين اسم النهر •

٤ ـ كما ان وضع اوبس عند مصب ديالى يناقض ما ذكره استرابون : Strabo[٣٠] من ان الملاحة في دجلة تنتهي عند اوبس وسلوقية • ومن الواضح انه يعين موقعين كائنين على الجهة المقابلة للنهر باعتدادهما الحد الذي تنتهي عنده الملاحة في دجلة ••

٥ ـ لذلك فان ما ذهب اليه استرابون لا يجعل اوبس وسلوقية متقاربتين في المكان حسب بل يؤيد وقوع اوبس على الجانب الشرقي من النهر •

لقد كانت اوبس في ايام استرابون لا تعدو (كوما : Kome) ويصفها ، على ماسلف القول عليه، سوقا للارجاء المجاورة • ويمكن ادراك ذلك بيسر واسماح ان اخذنا بنظر الاعتبار ان هذه المدينة لم تكن لتعدو في القرن الاول : (رأس جسر) كائن على الضفة المقابلة للضفة التي كانت تقع عليها سلوقية ، ومنطقة كبيرة تقوم بتموين القوافل الآتية على طريق ديالى ، قبل ان تدخل المدينة العظمى • هذا وان المعلومات التي يجود بها استرابون بصدد درجة الملاحة في دجلة

(٢٧) Xenoph, Anab. II, 4, 25.
(٢٨) Mesopotamia I. p. 19.
(٢٩) Herod. I. 189.
(٣٠) Strabo XVI, 1, 9.

مؤيّدة بما جاء بصدد عودة الاسكندر من الهند (سنة ٣٢٤ ق٠م) فلقد نزل الاسكندر في أوبس ولبث فيها ثلاثة أيام ، ومنها رحل الى (اخباتانا : Echatana) أي : همدان ، قاطعا الطريق السلطاني لنهر ديالى •

ومن الجلي ان قد كان في الامكان استخدام النهر للملاحة حتى اوبس ، قبل ايام استرابون• ذلك انّاسترابون ، اذ يقتبس من (ايراتوسثينس: Eeratosthenes [٣١] يعطي صورة لاسوار نبوخذنصر ، المنسوبة الىسميراميس[٣٢]• ومن البيّن انه كان مطلعا تمام الاطلاع على حال البلاد ، وموقع اوبس نفسها •

ولا يرد للمدينة ذكر ما ، بعد ذكرها على لسان استرابون ، او في الاقل ، على صيغة الاسم الذي رددناه حتى الآن • وعلى ذلك فمن المحقّق اننا بصدد موقع كائن على ضفة دجلة الشرقية ، بازاء سلوقية • ونعود لنقول : ان مثل هذا الموقع مهم باعتداده « رأس جسر » لعبور النهر ، وسندا للنقليات في القنوات المتشعبة من نهر ديالى ، والتي تصب في دجلة •

وثمة سؤال يرد ويتصل باوبس ايضا ، واعني به : هل قامت طيسفون عليها مباشرة ، وعلى ضفة دجلة ؟ أو ان علينا أن نتلمّس موقعها في مكن آخر ؟ وبعبارة اخرى : أيجب تعيين المدينة ، التي كانت فرثية ثم غدت ساسانية ، بخليط المساكن التيكانت داخل الاسوارالدائرية التي شهدتها البعثة الالمانية على الضفة الشرقية لمجرى نهر دجلة القديم ؟

قد يستطاع الاجابة عن ذلك بالافادة مما ورد في المصادر القديمة (الكلاسيكية) والعربية ، ولنحاول ذلك :

مما لا شك فيه ان طيسفون: Ctesiphon كلمة اغريقية النجار ، ولا تخفى تفسيرا لاسم ارامي بلدي ، او على ما هو اقل احتمالا ، لاسم فارسي • ان فلافيوس يوسيفوس[٣٣] يشير اليها اليها باعتدادها مدينة اغريقية ، على حين يصفها استرابون[٣٤] بقرية كبيرة قريبة من سلوقية ، وباعتدادها مصيف الملوك الفرث الذين كانوا يحلون في مكان قريب من المدينة الكبيرة الراكبة ضفة دجلة ، والغاية من ذلك ان لا يسبب جنودهم ازعاجا الى اهل سلوقية • ان عبارة استرابون المذكورة تجعل من العسير ان تكون طيسفون قد قامت على اوبس • ان المسافة من النقطة التي يتحدّث عندها في موضوع اوبس قصيرة والى حد لا تكفي ان يتخذ تنوع مصادر استرابونوسيلة لاقناعنا بان مثل هذا الخلط الواسع قد غاب عنملاحظة المؤلف •

وملحظ آخر ورد على لسان اريان[٣٥] اسم جوخي Choche باعتدادها قرية لا تبعد كثيرا عنسلوقية الراكبة ضفة دجلة • ومن العجب العاجب ان المصادر ما ان تبدأ بذكر جوخى Choche الا ويختفي ذكر اوبس • ان

(٣١) Strab II, I, 26.

(٣٢) ان هيرودوت (الكتاب الاول : ١٨٥ـ ١٨٦ ، ينسب بناء الاسوار الى الملكة نيتوكريس•

(٣٣) Flav. Joseph. Antiq, Jud, XVIII, IX, 9 (The Hebrews who fled from Seleucia)

(٣٤) Strab. XVI, I, 16.

(٣٥) Arrian, Parth X.

اوبس لا تذكـــر بعـــد ذكرها من قبـــل استرابون، اذ ان اريان يبدأ بذكر جوخي Choche

واذا ما تابعنا ما اورده اميانوس ، على وجه التفصيل ، استطعنا الحصول على النتائج الخططية (الطبوغرافية) المتصلة ببحثنا هذا :

« ترك جيش يوليان الفرات عند (ماسيراكتا: Macipracta وهي نقطة يجب ان تعين بموقع الفلوجة ، ويقول اميان ان (قناة الملك) ، نهر ملكا ، التي تمضي الى طيسفون تتشعب من هذه النقطة ، وان ثمة (فنارا) يعين الموقع • ان اول اعتراض أورد على اميـان انه يخلـط بين فرع للفرات وبين (قناة الملك) التي تصـل الفـرات بدجلة ، ممتدة من سيبار الى اوبس • لقد ظهر ان الفرات ، في عهد الكاشيين ، في الاقل ، ولعل الامر احدث من ذلك عهدا ، كان ينساب شرقا فيمر بـ (عقرقوف) وسيبار في مجرى يقابل في شطره الاول نهر عيسى المتأخر • ان ايسيدور الكرخي: Isidorus Charax يـذكر نهر ملكا باعتداده السبيل المائي المفضي الى طيسفون ، ومعنى ذلك ان (طيسفون) و (اوبس) كانتا في موقـع واحـد ، ومتقاربتين •

ثم لنتابع مسيرة الجيش الروماني : لقد سار نزلا بمحاذاة القناة مشرقا ، وذلك على الرغم من مقاومة القطعات الفارسية التي جاءت من طيسفون يقودها ابن الملك سابور نفسـه • ثم كـان ان وصل جيش الرومان سهلا خصبا مشجّرا تشجيرا حسنا ، فيه من بين مافيه ، شبه حديقة (على غرار ما يتخذ اليوم موقعا لاصطياد الحيـوان) • انه كائن في الاراضي المحيطـة بجوخـــي Choche التي يسميها اميانوس مرشلينوس سلوقية ايضا • لقد وصل الجيش الروماني أرض جوخي Choche ولم يصل دجلة •

ونلحظ ان بليني يجعل المسافة بين طيسفون وبين سلوقية ثلاثة اميال • وان طيسفون على ما تذهب اليه البعثة الايطالية[٣٦] ليست على دجلـة بل على مبعدة منها والى الجهة الجنوبية الشرقية من جوخـي Choche وانها لا تعين طيسفون بموقع اوبس، اذ انها تجعلها على ضفة دجلـة ، وعلى ما يستشف من اقوال استرابون التي سلف القول عليها • ان وجود اوبس على دجلة يفسر وجود المعبر المسـمى (بـاب بيتكـي : Bab-Bitki المدون في ايام سرجون الثـاني قربها وقد المعنـا اليه ، ولعل هذا هو السبب الذي حمل زينفون على أن يضل فيسمى مجرى النهر بـ (فيسكس)•

وتخلص (البعثة الايطاليـة) في تقريرهـا المشار اليه فتقرر ما يلي :

١ ـ من المحتمل ان تكون اكسـاك واوبس على الضفة الشرقية لمجرى دجلة القديم •

٢ ـ ان سلوقية الاغريقية نمت على الجهـة المقابلة واتسعت وبقيت عامرة حتى نهاية القرن الثاني الميلادى •

٣ ـ ان تخريبها على يد افيديوس كاسيوس Avidius Cassius ختم صفحة حياتها باعتدادها مركزا مهما •

٤ ـ ان موقع سلوقية وعملها ، باعتدادهـا بؤرة النقل والتجارة في نقطة كان يعبر دجلـة

(٣٦) Universita di Torino, Mesopotamia I, p. 32.

عندها ، ورثتها المدينة الساسانية الجديدة : بهرشير او : Choche او سلوقية الجديدة ، وهي مدينة كانت في شبه دائرة • ولقد نمت المدينة وازدهرت بين الربع الاول من القرن الثالث الميلادي حتى نهاية القرن الخامس الميلادي •

٥ ـ وبعد ذلك ، ادى تغيير مجرى نهر دجلة[٣٧] وسلسلة من الفيضانات الى ان تحصر الحياة في مناطق مرتفعة ، ترتبط على وجه اخص بأماكن العبادة ، المسيحية منها على وجه اخص ، على حين اصلحت الاسوار لحماية (رأس الجسر) الكائن على الضفة الغربية من دجلة ، قبالة طيسفون •

٦ ـ ان طيسفون[٣٨] كانت أصلا في رجا يقع في الجهة الشمالية ـ الغربية على قناة منفرجة بالنسبة الى دجلة وتصب ماءها فيها •

٧ ـ اصبح شطر من هذه القناة من امتداد عقيقة النهر الجديدة •

٨ ـ نمت طيسفون وامتدت ، ابان العهد الساساني ، في المنطقة الواقعة على الضفة الشرقية بين الدورتين اللتين يدورهما النهر في هذه النقطة عينها • وضمت هذهالمنطقة المتسعة دارات ، وقصوراً شاهقة ضخمة ، وفوقها جميعا قصر الرسوم (التشريفات) وما يلتحق به من بنايات السكن الملكي •

هذه فرضيات عملية ، وان الحفريات المستدامة قد تكيف ما أوردناه أو تؤيده أو تكمله[٣٨] •

لقد وردت أسماء مدن : اوبس واكساك وطيسفون وسلوقية وجوخي Choche باعتدادها واقعة في أرض بابل الشمالية ، وهذا ان دل على شيء فعلى أهمية هذه المنطقة منذ أقدم أزمنة تأريخ العراق القديم • وهذه الاهمية يؤيدها ما يذهب اليه أغلب الباحثين من أن (أكد) مدينة سرجون العظيمة ، يجب أن تلتمس فيها أيضا • ولعل مما يدل على أهمية هذه المنطقة أيضا الخط الدفاعي المزدوج الكائن شمالها وقد أومأنا اليه[٣٩] • ان وجود خط الدفاع هذا ثابت بالنصوص المسمارية ، وبالنصوص التي أوردها الكتاب القدامى ، البلدانيون والمؤرخون، على اختلاف في التفاسير • ان المنطقة التي تقع فيها هذه المدن ، ومنها اوبس على الاصح ، منطقة زراعية ـ تجارية مهمة ، فلا معدى عن حمايتها بازاء المغيرين الطامعين ، مهما كان الثمن والجهد • والمغيرون الطامعون يأتونها من الشمال والشمال الشرقي • ولقد اقيمت الوسائل الدفاعية هذه ، من قبل الدويلات القوية المتحالفة التي قامت على التتابع في وسط بلاد ما بين النهرين

(٣٧) يلحظ من الخارطة التي وضعتها البعثة الايطالية في تقريرها ان دجلة كان يجرى قبل القرن الخامس الميلادي الى الغرب من مجراه الحالي وان سلوقية كانت على ضفته الغربيه وان نهر ملكا كان يصب فيه جنوبي سلوقية على حين كانت Choche على ضفته الشرقية وكان هذا المجرى ينساب فيقطع مجرى دجلة الحالي ، وعليه تل الذهب ثم يتحد المجريان •

(٣٨) ان طيسفون التي كانت في مكان بعيد عن مجرى النهر القديم تقع خرائبها اليوم على ضفتي المجرى الجديد • ولا تضع البعثة موقعا لاوبس أو اكساك •

(٣٩) التقرير المشار اليه ص٣٨ •

وجنوبيهـــا ، من أيـــام السومريين الاقدمين ، فالاكديين ، ثم السومريين المحدثين حتى أيـــام الملوك البابليين •

ان حضارة وادي الرافدين بدأت زراعية : وأرض هـذه (المنطقة) خصبة والمياه فيهـــا موفورة ودرجـة حرارتها عاليـــة خلال أغلب فصول السنة مما يضمن انضاج حاصلات وفيرة تؤدي الى زيـادة السكان ، أضف الى ذلك انها ملتقـــى خطوط المواصلات : الخط الآتـي من الشرق من ايران محاذيا ديالى ، ومن الجنوب، من سوسا ، ومن الشمال ، من أرمينية وبـلاد آشور ، والذي يستمر مغربا ، سواء الى البحر المتوسط أو الى منطقة الفرات ، أو يتجه جنوبا الى بلاد ما بـين النهرين السفلى ، حيث خليـج العرب • ان جميع هذه الخطوط تلتقي في هذه المنطقة عينها • ان هذا كله يفسّر قيام مدن مهمة في المنطقة ، على ما قلنـا ، ومنها اوبس ، وعلى تتابعها ، مدينة أثر مدينة • هـذا من جهة ومن الجهة الاخرى يفسر أهمية المنطقة وقوع معارك حاسمة قوية فيها ، وما منيت به مدنها من تدمير عـلى يد الفاتحين ، ومـن أمثال ذلـــك معركة الكناسة وتخريب سلوقية •

وأخيرا ، ان تعيين مواقع مدن هذه المنطقـة ومنهـا اوبس وأبعـادها والكشف عن مقومات حضارتها ، وتأريخ حكامها ، على التحقيق ، كل ذلك منوط بالتنقيبات الآثاريـة الموسّعة المتواصلة المنهجية ، وكل ما أوردناه في هذا البحث الذي استقصينا فيه جميع ما ورد عن اوبس في المصادر الآثارية والتاريخية العلمية والمنطقة التي نرجح ان كانت فيهـــا ، هي بداية لا معدى لهـا عن نهاية كاشـفة •

مصادر البحث الرئيسة

1. Lane, W.H. "Babylonian Problems".

2. The History of Herodotus (Translated by Rowlinson).

3. Xenophon: "The Cyropaedia or Institution of Cyrus, (translated by Watson & Dale.

4. Arrian "History of the Expedition of Alexander the Great and Conquest of Persia, (translated by Rooke).

5. Pliny: The Natural History, (translated by Bostock and Riley).

6. Strabo: The Geography of Strabo.

7. King, L.W.: Sumer & Akkad (Chatto and Windus 1910).

8. Universita Di Torino Mesopotamia I.

9. Waterman: Preliminary Report upon the Excavations at Tel Umar, Iraq.

10. Budge, Sir W. "By Nile & Tigris".

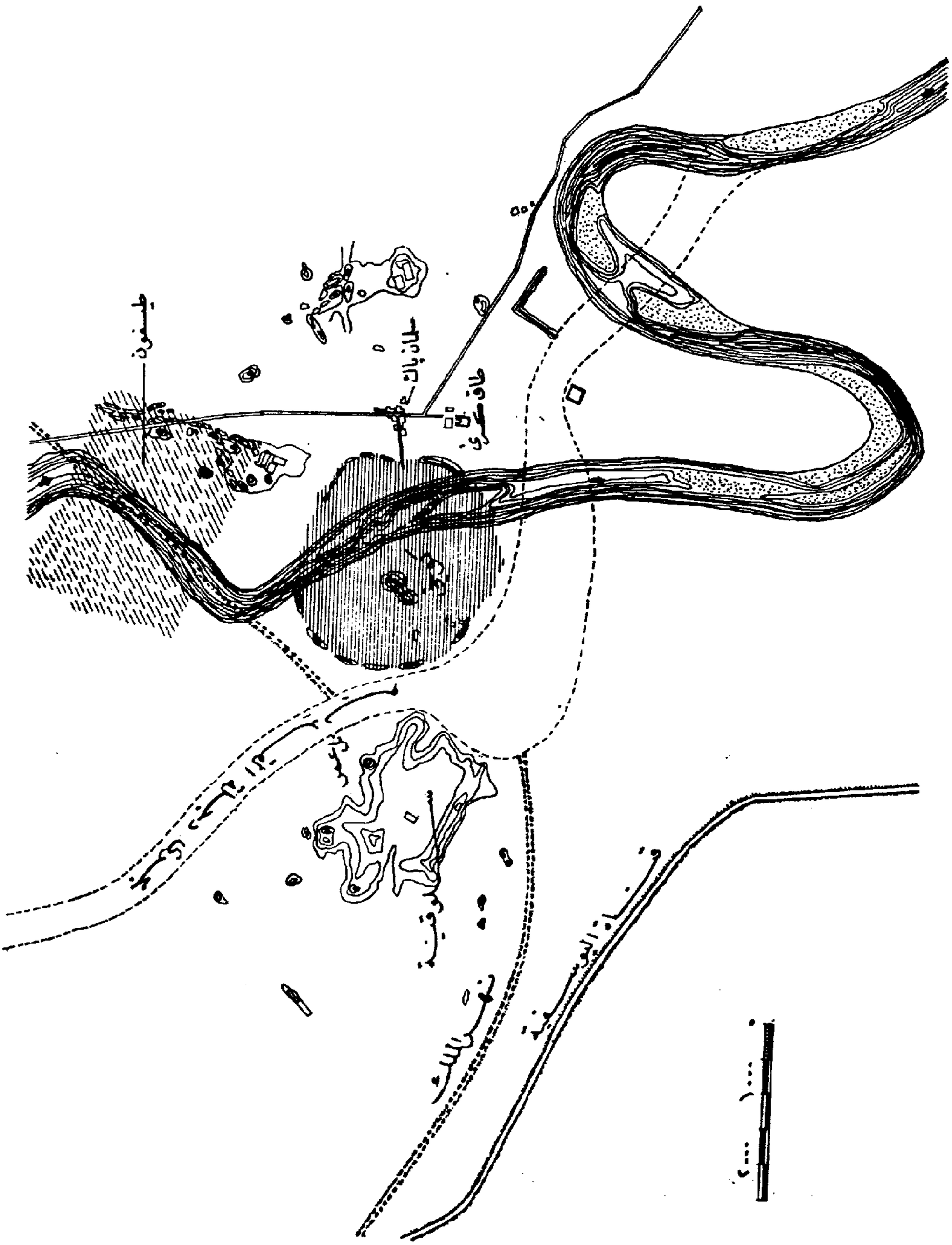
طنطا
سلطان بك
طلخا العسكرى
قنال السويس
ترعة الدقهلية